

الحلقة الرابعة والعشرون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل أنت مستمعي تترج تحت الهموم والمصاعب؟ وهل تعاني من أعباء كثيرة ومشاكل عديدة تبعدك عن تحقيق ما تصبو إليه؟ وهل أنت متعب من حياتك وتسعى نحو الراحة لكنك لا تجدها؟ وهل حاولت كثيراً حلّ مشاكلك لكنك فشلت؟ هناك أمور كثيرة تقف في طريق الإنسان، وتجعله محبطاً وعاجزاً عن إيجاد الحلول المناسبة لمشاكله وهمومه. لكن هل نستسلم للواقع المرير؟ أم ترانا نسعى للبحث عن الحلول الناجعة والمفيدة لحياتنا؟

حول هذا الموضوع الهام تحدّث المخلص المسيح قائلاً: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. إِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحَمْلِي خَفِيفٌ» (بشارة متى ١١: ٢٨-٣٠). فماذا قصد المسيح بهذا التصريح الهام؟ لنلاحظ أن المخلص المسيح دعا جميع الناس المتعبين والثقيلي الأحمال لكي يأتوا إليه، فيجدوا الراحة عنده. لعلّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: الناس المتعبين ممّاذ؟ وما هي الأحمال الثقيلة التي قصدها المسيح هنا؟

صديقي المستمع، من المسلمّ به أن لكل إنسان همومه ومشاكله ومتاعبه. ولا نستطيع حصر هذه المتاعب لأنها عديدة وتتوقف على ظروف كل شخص. لكن نستطيع تلخيصها بهموم ومتاعب الحياة اليومية الرئيسة من تأمين العيش المقبول، وتحصيل درجة علمية لا بأس بها، وتكوين أسرة ناجحة. كل هذه الأمور تشغل الإنسان وتجعله مهموماً ومتعباً، لا سيما إذا صادفته العقبات الكثيرة التي تحول دون تحقيقه لهذه الأهداف. أما بالنسبة لحديث المسيح عن ثقلي الأحمال، فهو قصد به أولاً الناس الذين يعانون من حمل أو ثقل الخطيئة على حياتهم.

هل تعلم مستمعي أن الخطيئة التي تكبل أجسادنا الضعيفة، تجعلنا ننحني تحت أثقالها؟ فالخطيئة لا تدمر حياة الإنسان فحسب بل تجعله يشعر بثقلها الكبير عليه، وبوخز الضمير. وعندما تكون هذه هي حالة الإنسان يسعى لكي يتحرر من قيد الخطيئة بوسائله الخاصة، لكنه يصاب بالخيبة والمرارة. وهناك ثقل آخر قصده المسيح وهو ثقل حمل الشرائع الدينية وفرائضها. هل تعلم صديقي أن تطبيق الشرائع الدينية وفرائضها يجعل الإنسان يقع تحت حمل ثقلها؟ إذ غالباً ما يشعر المرء بأن هذه الفرائض والشرائع الدينية ثقيلة عليه وتكبله، ولهذا يسعى للتحرر منها دون جدوى.

لكن ما هو الحل الذي عرضه المخلص المسيح هنا؟ لقد طلب من جميع الناس المتعبين والثقيلي الأحمال أن يأتوا إليه أي يؤمنوا به فيريحهم. ثم تحدت عن الكيفية التي فيها سيريحهم بها. فقال: «**أَحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُنَوَّاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ**». فما هو النير الذي قصده المسيح هنا؟ لكي نجيب عن هذا السؤال علينا أن نعلم أولاً معنى النير. فالنير هو قطعة خشبية ثقيلة توضع على عنق ثور أو أكثر، لكي لا يحدد عن الطريق المقرر، وتتصل بالمحراث لتجره الثيران. وعندما يوضع النير على عنق الثور فذلك يعني أن أمامه يوماً طويلاً من العمل.

لكن المخلص المسيح يدعونا نحن التعابي والثقيلي الأحمال لكي نأتي إليه ونحمل نيره، أي نحمل صليبه وعاره. وهو ما تحدتنا عنه في الحلقة السابقة. وأكد المسيح في نفس الوقت أن هذا النير الذي يدعونا لحمله هو هين، وليس كنير الخطية والفرائض. وأن هذا الحمل الذي يعطينا إياه هو أيضاً خفيف.

أجل، إن الإيمان بالمخلص المسيح يا صديقي يحرر الإنسان أولاً من حمل ثقل الخطيئة، وثانياً من ثقل حمل الشرائع والفرائض الدينية الثقيلة. فالمسيح مات على الصليب لكي يكفر عن خطايانا، وقام من بين الأموات لكي يهبنا الغفران الكامل، ويجعلنا من أولاد الله، ويضمن لنا الحياة الأبدية في دار النعيم. ولهذا عندما يحصل الإنسان على غفران خطاياها الكامل يتحرر من حمل ثقل الخطيئة، وأيضاً من ثقل حمل الشرائع الدينية وفرائضها. وفي نفس الوقت يعطيه الله سلامه العجيب لكي يواجه كل متاعب وهموم الحياة. ولهذا دعانا المخلص المسيح لكي نأتي إليه: فنجد راحة لنفوسنا، من كل متاعبنا وأحمالنا.

وأضاف المسيح قائلاً: «وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ». إن المسيح يدعونا لكي نتعلّم منه صفتي الوداعة والتواضع. لأنهما سر الحياة المنتصرة على المتاعب والآلام، والتحرر من ثقل أحمال الخطيئة والفرائض الدينية. وعندما نتبع المسيح نستطيع أن نتحلّى بهاتين الصفتين فنجد الراحة لنفوسنا.

مستمعي الكريم، إن المخلص المسيح يدعونا اليوم نحن المتعبين والثقيلي الأحمال، كما دعا الناس في أيامه: أن نأتي إليه فنجد عنده الراحة الحقّة التي نصبو إليها. وطلب منا أن نحمل نيره أي أن نسلّم حياتنا بالكلية له، ونحمل صليبه أو عاره كل يوم. وأكّد لنا في نفس الوقت أن نيره هيّن وأن حملة خفيف. ودعانا لكي نتعلّم منه الوداعة وتواضع القلب فنجد الراحة لنفوسنا. حقاً ما أعظمها من دعوة، وما أثنىها من عطية. فهل ترانا نلبي دعوة المسيح هذه؟ فنأتي إليه لكي نجد عنده الراحة من كل متاعبنا وهمومنا، ولكي نتحرر من كل أحمال أثقال الخطيئة والشرائع الدينية!

وماذا عنك مستمعي؟ هل تلمي دعوة المسيح هذه القيّمة والعظيمة؟ وهكذا تجد السعادة، والراحة الحقّة التي كنت تبحث عنهما باستمرار. وفوق هذا تتمتع بسلام الله العجيب الذي يملأ قلبك وفكرك، وتتغلب بالتالي على كل متاعب وهموم الحياة!